

في الدين

تهضة المعارف في مصر

جمال الدين الأفغانى - ٣

أريد أن أبسط للقراء ما كان لتلك الشخصية الإسلامية العالمية ، شخصية جمال الدين من الأثر في تهضة الإسلام عامة ومصر خاصة ، وكانت أريد أذ ، أنحدث عن شخصيته الاجتماعية والخلقية فحسب ثم أضع جانبه الدينامي ، ولكن ماذا أصنع والدياسة هي اللون البارز جدا من ألوان نفسه ، فاستخرت الله أن أدرسه دراسة مستفيضة . وما أرى من بأس في توضيح كل ما أحاط به يعرف فراء هذه الجبهة أنه كان للإسلام رجل جدهه بعد خمود وجاء إلى مصر رجل فتح عيونها على الدنيا وأماط اللثام عما يراد بها من كيد وتخزيق . وأنا حين أعرض لهذا البحث أجد أماني ورجلا غريب الأطوار ملتزم الأحاساس ، لا يعرف في الحق مواربة أو مجاملة ، وكان في صدره أتونا مشتتة لإشفاقا على دين ذل بعد عز ، وأم تفرقت أيدي سبا بعد أن كانت متحدة تبسط رواقها على الشرق وبعض الغرب ، ثم صارت أمما جعلها الاستعمار الاجنبي أشلاء ممزقة ، تعالج سكرات الموت .

وأرى جمال الدين كل ذلك ، فواب كالاسد المصور يعزم أن يتشب بخالبه في كل من يريد بالإسلام سوءا أو بجمالك المسلمين ، ويصبح في آذان الناقلين أن هبوا من مراقبكم وإلا جرفكم السيل وحل بكم الويل ، وبالشياخ العجفاء التي تسكبر من العلف لتسمن ثم تقدم نفسها طعمة سائمة الآكلين أن تملئ أنك في عالم الأحياء وأن حب الحياة طبيعة في النفس فلا تسكوني على نفسك من المشرقين .

ولكن ماذا يصنع لبت واحد في عالم ملو ، بالذئاب الذين لا يرجون لله وطارا ؟ وجدير بي أن أذكر شيئا من صفات هذا الزعيم العظيم وأخلاقه ، ولست أرى أصليق وصفا عما كتبه تلميذه ووارث علمه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قال :

د إنما يمثل لناظره عربيا محضا من أهل الحرميين فكأنما قد حفظت له صورة آباله

الأولين من سكنة الحجاز ، ربعة في طوله ، وسط في بينته ، قنح في لونه ، عصبي دموى في مزاجه ، عظيم الرأس في اعتدال ، عريض الجبهة في تناسب ، واسع العينين عظيم الاحدق ، ضخم الوجنات ، وحب الصدر ، جليل في النظر ، حش عند اللقاء ، قد وفاة الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه . أما أخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته ، وله حلم عظيم يسع ماشاء الله أن يسع ، إلى أن يدنونه أحد ليس شرفه أو دينه فينتقل الحلم إلى غضب تنقض منه اشبه ، فيبينها هو حلیم أواب إذا هو أسد وثاب ، وهو كرم يبذل ما بيده : قوى الاعتماد على الله ، طموح إلى مقصده السياسي ، إذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول إليه . وكثيراً ما كان التمعجل علة الحرمان - وهو قليل الحرص على الدنيا ، يبد عن الغرور بزخارفها ، ولوع بمفاطم الأمور ، عزوف عن صناعاتها ؛ شجاع مقدم لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه ، إلا أنه حديد المزاج - وكثيراً ما هدمت الحدة ما رفته القنطة .

فهذه صورة صادقة للسيد جمال الدين دمجها راحة الأستاذ الأمام ، فأبانت عن خصائصه النفسية ، وقد كان السيد كذلك ، فإنه ما كان يرب أحدًا أو يقدر الظروف ، والمناسبات السياسية لتحقيق مطالبه ، وإنما كان جريدة سائرة تنشر الحق حيث كان لا يهم بالدهاء السياسي والتدريج يمثل ما يتدرج به المصم من مقابلة السكيد يناله : فالحق عنده مكشوف ، لا يرعى في سبيله مقام ذوى المقام ، ولا الاحتيال للأمر حيث كان ، وسياسته في نظري قريبة من سياسة سيدنا علي بن أبي طالب ، فإنه كرم لله وجهه - قد سميت به نفسه فاحترق الدنيا وعلا عن مكائيد السياسة ، فأصبح في مقام الأبرار ، فترك الناس في دنياهم يتخبطون ، فالحق عنده لا يتجزأ ولا يلبس لكل يوم لبوساً .

وقال عنه أديب إسحاق : « إنه كان يتتبع حركة المعارف الأوربية والمستكشفات العصرية ويلم بما وضع أهل العلم وما اخترعوه جديداً ؛ حتى كأنه قرأ العلم في بعض مدارس أوروبا العالمة ، ومن عجائب ذلك أنه تعلم اللغة الفرنسية أو بعضها في أقل من ثلاثة شهور بلا أستاذ إلا من علم حروف هجائها » .

وقد حدثني صديقي الأستاذ الأديب العبقري مصطفى صادق الرافعي . إنه كان من الصحفيين في مصر لذلك العهد رجل يهودى له صحيفة اسمها (أبو نضارة) كان يتردد على السيد ويساعده على تعلم اللغة الفرنسية .

يتبين من ذلك أن السيد كان قوى المزجة لدرجة لا نظير لها ، وأنه أضاه المصباح في مصر قوتب بعض الناس من مرأقدهم ، وبعضهم ظل يتناهب وينتهط ، ثم هب فزعا بعد أن مضى على موت جمال الدين حرالى نصف قرن من الزمان ؛ جاء إلى مصر بعد أن سمع بشهرة

علمائها ونهضة الخديوي إسماعيل فيها ، ومظاهر الحرية التي كانت تلوح من وراء الأفق في أرجائها ، وما كان من تشجيع إسماعيل لأهل العلم والأدب من الغرباء ، فخل فيها جمال الدين على الرحب والسعة ، وكان رجلا له مشاركة في كل علم وفن ، وكان أظهر شيء فيه الجاذبية يتحدث إذا تحدث إلى الماطفة والعقل معا فيملكهما على السامع ، فلا عجب إن رأيت النفوس المشتقة في مصر تلتف حوله وتزعم مجلسه .

اتخذ منزلا على قدر حاله في حارة اليهود وصار منتدى العلماء حتى إذا جاء النضال خرج متوكئا على عصاه إلى قهوة قرب الأزبكية ، وحضر مجلسه أساتذات من الناس ، منهم الصحفي والشاعر والطبيب والمهندس ، فيتكلم في العلم والأدب والمنطق والفلسفة والدين والسياحة وكل واحد يلقي أسئلته ، فيجيب عن كل سؤال كالسبل المنهمر لا يتعلم ولا يتوقف ، ويظل السامعون في إعجاب بقوله وتأثير بمنطقه وبيانه حتى يشتعل رأس الليل شيئا فيعود إلى داره وهكذا .

وقال عنه تلميذه الأستاذ الامام : « واعتدى إليه بعد الأقامة في مصر كثير من طلبه العلم واستوروا زنده فأورى ، واستفاضوا بجره ففاض درا ، وجره على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الاعلى والحكمة النظرية الطبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلسفية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الاسلامي . وكانت مدرسته بيته أول ما ابتدأ إلى آخر ما اختتم » .

فمظلم أمره في نفوس من حضر مجلسه ، وذاع صيته في البلاد المصرية ، وكانت الصحافة وليدة في مصر وهي قوة كبرى في أوروبا لأنارة الهمم ، وبذر بنور الحرية في الناس وهي سبيل إلى الإصلاح النفسي والاجتماعي والسياسي تعرف الناس مبلغ الرابطة بين الحاكم والمحكوم ، فعمل تلاميذه على إنشاء الفصول الأدبية والدينية بغية إذاعة العلم الصحيح والأدب المنمّر المفيد ، فبرعوا وتقدموا وأحدثوا في مصر حركة فكرية لا عهد لها بها من قبل ، فبعد أن كانت الجرائد لا تكتب إلا في مدح الخديوي أصبحت تطرق ما يصلح شأن الأمة ثم تخفى في طياتها نقداً موجهاً إلى ذاته ، ثم برز هذا النقد شيئاً فشيئاً حتى صار مكشوفاً كما قوى حزب جمال الدين ، ثم تناول السيد وتلاميذه السياسة الشرقية ونهبوا الناس إلى تصرفات الاستعمار في البلاد الإسلامية كلها من شرقها إلى غربها . أما الخديوي إسماعيل فقد وسع صدره للنقد ولم يضق به ذرعاً ، وأما وكلاء الاستعمار في مصر فقد اكتنوا السيد ينتظرون الفرصة السانحة للكيد له - وقد تمكنوا من ذلك بعد عهد إسماعيل - ومن كلام الأستاذ الامام عنه : « وهو لا يسأم من الكلام فيما يتبر العقل

أو يظهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى عالم الأمور أو يستلقت الفكر إلى النظر في الشؤون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها ، فاستديقات مشاعر وانتهت عقول ، وأخذت الحرية تظهر في الجرائد « ومن يطلع على أعداد جريدة مصر وجريدة التجارة وجريدة مرآة الشرق والأهرام وصداعها يرى حقيقة ما ذكرنا .

وقال أديب إسحاق « إن السيد كان يكتب في جريدة مصر - وكان أديب صاحبها - ويرمز إلى اسمه (مظهر بن وضاح) وكان كثير التطلع إلى السياسة ، شديد الميل إلى الحرية قوى الرغبة في إتمام المصريين من النذل .

وقال السيد رشيد رضا سماعاً عن الشيخ عبده : « إن السيد لم يعمل عملاً حقيقياً إلا في مصر » فهو المزلزل الأول لجورد الأزهر ، والمصلح للتعليم الإسلامي ، وواضع المعول الأول في هدم الساطرة الاستبدادية في مصر ، ومؤسس الحزب الوطني لايجساد حكومة أهلية صالحة .

هذا النوع من التعليم الثقافي الجامع بين العلم والسياسة كان من أدب سقراط حكيم اليونان قديماً ، فإنه كان يعلم تلاميذه بالخطابات والمحادثات ، وكانت طريقته جذابة لأنه كان لا يتحرى وقتاً ولا استحضاراً ، بل بحسب ما يتجلى لفرحته وينظر بياله ، وكان سقراط يفتح التعليم بمسائل تلاميذه فلذا أجيب تسكلم وناقض وحتى يكشف لهم الحقيقة ، وسقراط لم يترك تأليف أشهد بفعله ، وكذلك جمال الدين فقد ترك لمصر حينما بقي منها ، الأستاذ الإمام محمد عبده واتزعم الأكبر سعد زغلول والسيد عبد الله نديم خطيب النورة العربية وآل المويلحي وغير هؤلاء . وكان سقراط إذا بلغه ظلم الحكام بتسكلم فيهم ولا يبناف سطوتهم ، وكذلك جمال الدين فإنه كان أجراً رجل في مصر ، يتكلم في السياسة المصرية على طرعة الطريق وفي التهاوى والمنزهات ، مما عجب له الناس ولا غرو فهذا الرجل قد خلع نفسه من الدنيا ومطالبها خلماً ، فلا يرجو إلا تحقيق منته الأمل في إيقاظ المسلمين ، وكان سقراط يقول لتلاميذه . « إن الانهماك في الذات يضيع على الإنسان أشرف صفات نفسه وهي الحرية » وظل سقراط يطعن على الظالمين حتى سقى السم ومات في سبيل الفضيلة وإرشاد الناس إلى الحق ، وكذلك السيد تستعرف في المقال التالي أنه دم إليه السم لأنه تبه المسلمين إلى ظلم السلاطين

كنت في عهد طلب العلم أسمع سعدا حين يخطف فأعجب لقوة عارضته ، وتدققه وسحر

بيانه ، وبلاغة عبارته ، ومع أنى سمعت أغاب خطابه النورة المدمرة فلم أجد رجلا في هذه القوة والتمسحة مع تقادم السن فأقول إن هذا رجل يدع في الناس ولكن من أين اقتبس هذه المعارضة وهذه الهمة الماضية ؟ وظللت في عجب ودهشة أمددا طويلا الى أن قرأت تاريخ جمال الدين فعلمت أن هذا الزعيم فجة من تفجائه ، وأنه أفض عليه من روحه واستقى من معين تلميذ الشيخ عبده من يده ، فأض على مصر أنوارا من نورها . وبلغ الرسالة على وجهها . فكان في تبليغه من العادقين .

مستبين حسن مخلوف
الدرس بالمدين بطنطا

كلمات حكمية

إذا أردت أن تنظر إلى الشيء بقدر موضعه فجرد نفسك عن الهوى .

(فينا غورس)

.....

تزينوا بالعدل والبسوا ثوب المناف ففتحوا

(إنفلاطون)

.....

أضر الأشياء على الإنسان رضاه عن نفسه ، فإن من رضى عن نفسه انقطع عليه بلوغ نهاية ما يلزمه .

(سقراط)

.....

سنان السيفة علامة على كرم النفس ودليل على علو الهمة .

عبد الواحد سليمان غراب

(السالمية)

دكبل نقابة التربية

عناصر الصفات

خمسة صفات من تزود عن كفيه في كل وجه ؛ وآتته في كل غربة ، وقرب له البعيد ، وأكسبه المعاش والأخوان :

الأولى : كف الأذى ، والثانية حسن الأدب ، والثالثة مجانبة الرب ، والرابعة كرم الخلق ، والخامسة التبل في العمل .

عبد العظيم على عبد الجواد

بمدرسة الساكرة

يا كتابي !

يا كتابي : ما أفضلك من صديق حميم ، وأخ شقيق ، ووالد بر ، وصهير مرشد ، ورفيق عظيم ، أنت عندي نعم الناصح الأمين . إذا استصحتك كنت أفضل ناصح وأسدت إلى النصيح سائغا هنيا ، وإذا استشرتك كنت مستشارا عبقريا . وإذا استعزجتك كنت مغيثا قويا . حقا فأنت كما قال فيك الشاعر :

يا سميري إذا أردت سميرا ومشمري إذا اقتعدت المشيرا
ورفتي في غدوتي ورواحي لست عنه بمستغيث نظيرا
ونصيحي الذي تمودت ألا أتلتني عليه قولا فظيرا
والذي هون الشدائد عندي حين أوصى بأن أكون سبورا

ألم تسمع ما قلته في حقلك للجياض : « ما رأيت يستانا يحمل في ردن ، وروضة تنقل في حجر ، ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينتم إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من الأرض ، وأكرم للمر من صاحبه ، وأحفظ للوديمة من أربابها ، ولا أعلم جارا آمن ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا مملعا أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ، ولا أقل إبلا ولا أبراما ولا أبعد مراه ، ولا أزهد في جدالك ، ولا أكف عن قتال - من كتاب » .

لقد أخبرنا التورود أقبري أن ريشارد برى من عظماء الأنجليز الإقديس مدحك وزملاك فقال : « وهاكم المعلمين الذين يملوننا بغير عسا ولا سوط . ولا يسبون المعاملة ولا يفضون . ولا يطلبون هدايا أو دراهم . ومن إذا دنوت منهم لا يتأون عنك . وإذا سألتهم لا يخفون عنك شيئا . وإذا تقاضيت عنهم لا يشعرون منك . وإذا كنت جاهلا لا يخزون بك » .

يا كتابي : إنني لأعتبر ساعة وجودي معك أهنا ساعة في حياتي ، وزمن حديثك معي أمن وقت في أوقات قرائتي ، فبرؤياك ينشرح صدري ، ويقر نظري . لقد صدق ما كولي في قوله « لو خبرت أني أكون أكبر ملك في الأرض . ولي جميل القصور والبساتين ولذيذ الطعام والشراب ، وفاخر الثياب ، ووفيات الخدم ، واشترط علي في ذلك التجرد من الكتب لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة ، وقيلت العيش فقيرا في عشة ، ومضى كثير من الكتب »
يا كتابي : أنا لم أصاحبك إلا بعد أن عبرت غورك ، وعجمت غودك . وعرفت طابعك . لذلك تجذني أحرص كل الحرص على تمام مودتك . ودوام محبتك . وبقاء صحبتك وأرغب في صداقة الكثيرين من أمثالك .

شعاع من سمير

ناشر مدرسة المنا

(قنا)

أجدادنا الأدياء

عرفنا الكثير عن براعة الفراعنة في الهندسة والبناء والكيمياء والفلك والتخطيط الخ .
ولأسف لم نعرف شيئاً عن نتائجهم الأدبي في حين أن « مانيتون » المؤرخ يقول : « إن
مؤلفات الفيلسوف هرمس المصري القديم بلغت ٣٦٥٢٥ كتاباً وبالطبع هرمس هذا واحد
من مئات الفلاسفة وأحد المصريين الأدياء . وقد كفى بجانب كل معبد دار للكتب مشيدة
على أحسن طراز تضم بين جوانبها جميع المؤلفات ، فأين راحت هذه المكاتب ؟ وأين ضاعت
هذه العلوم ؟

عما يحكى أن « ديوكليان » الإمبراطور في القرن الثالث بعد الميلاد أحرق جميع الكتب
الخاصة بعلم الكيمياء كي لا يجاربه المصريون بهذا العلم عند ما اضطهدهم فتمردوا عليه ، وكما
فعل « ديوكليان » فعل غيره من الدخلاء الذين تسلطوا على مصر فلم يبقوا شيئاً من آثار
القراءة يذكر ، ويظهر أن أجدادنا كانوا يفهمون فينا هذا الضعف ويعرفون ما مسئول إليه
من الخمول فكتبوا ما كتبوا من أوراق الوعظ وحفظوها معهم في توابيتهم ، ونقشوا
ما نقشوا على الصخور والمسلات . ولكننا وقفنا أمام سرهم المسمى المشوه لا نعرف لرموزهم
حلاً ولا نجد لطلابهم فكاً ، وكنا في معظم الأحيان نرميهم بالعبادة - إلى أن قبض الله لنا
النجاح على يد علماء الغرب ففكوا الرموز وحلوا الألغاز وذللوا المستعصى ورقموا أجدادنا
فوق هامات الرموس وأفهمونا أن مصر كانت في الزمن القديم زهرة الدنيا وينبوع المدينة
والحضارة في حين أن دول أوروبا كانت تسيح في حمة الجهالة ، لكنه لم يصل ألبينا من
أوضاعهم كتاب خاص بالأدب وغاية ما وصل إلينا حكم بسيطة ومواعظ قليلة لا تذكر قبلت
في التحنير من الدنيا والترغيب في العالم الآخر وقد كتبت هذه الحكم على ورق البردي
ويوجد بالمتحف البريطاني ورقة من هذا النوع طولها ١٣٥ قدماً

وبمكتبة باريس عدد كبير من أوراق البردي كان قد اشترعها « ريس » ونقلها إلى هناك
والمتحف الألماني ببرلين ١٤٠٠٠ ورقة من البردي وهناك بالمتحف رجل إحصائي في
تركيب أوراق البردي البالية يعرف « بالهر البشر » وهو يشتغل في ورقة عدد صفحاتها ١٣٥١
وقد انجز منها الآن حول الثمانين صحيفة وهي تشمل رواية تمثيلية ألفت زمن الأميرة الثانية
عشرة

وقد كان للكتاب القديم إذا ما أراد أن يسطر كلمات قورق البردي كان يضع قطعة من
الخشب تحت يده وهذه القطعة طويلة ومجوفة يوضع داخلها عدة أقلام من غاب رقيق ذي

طرف حاد وفيها تجاوبت أخرى يوضع في أحدهما حجر أسود وفي الأخرى حجر ثم أصفر
وإذا أراد الكاتب أن يبرع في كتابته يجلس مرثيا رجليه ويبدأ في تقرير رسومه منجهة
كلها إلى ناحية واحدة ، وحينما يصل في كتابته إلى نقطة هامة يرسم صورة صغيرة بألوان
زاهية نصف المتزوي الذي يريد

وقد كتب المصريون على البردي كل شيء يكتب فيها المواعظ والاساطير ودواوين
الشعر وبقي العلوم ، غير أنه لم يرد من أسماء الأدياء الأقدمين غير عدد بسيط جدا كما قلنا
ومفتاح حجب وآتي

وعنا أنقل إلى القراء أمثلة كل ، كي يعرف هؤلاء القوم الذين كانوا يؤمنون باليهت
وبدينون بالآخرة ويعتقدون بوحدانية الله ويعرف مبلغ فطانتهم وذكائهم

حكم قائمتا الفيلاسوف المصري القديم ووزير الملك حوتى من ملوك الاسرة الثالثة:

١ - سر في سبيل الاستقامة لئلا تغضب الله

٢ - لا تكن عنيدا في المخاصمات

٣ - الابن الذي ينكر الجليل يحزن والديه

٤ - متى كان الإنسان خبيرا بأحوال دنياه سهل عليه أن يكون قدوة حسنة لذريته

٥ - إن قلة الأدب بلاذة ومدمة

٦ - إذا دعيت إلى وليمة وقدم لك من أطيب الطعام ما تشبهه فلا تبادر إلى تناوله لئلا

يبتدرك الناس نهاء إن جرعة ماء تروى الظمأ ولقمة خبز تغذى الجسم

٧ - احفظ هذه النصائح واعمل بها تعش سعيدا بين الناس

هذه هي كل حكم قائمتا وهي بسيطة جدا وتساعد لانتذرك بجانب زميليه مفتاح حجب وآتي

محمد محمد عامر

ثلاثون

١ - محبوبة : الشجاعة ، العواطف الشريفة ، الوفاء

٢ - ممتازة : إدراك القوى ، العظيمة ، العطف

٣ - مطلوبة : الصحة ، بسطة النفس ، الصديق الصدوق

٤ - مرتببة : الأخلاص ، الأخلاق الحسنة ، العدالة

جودة مكي عفيفي

شيلنجه